جولة لغوية في كتاب النبات

لأبي حنيفة الدينوري

— ٢ —

(نموذجات من نوادره وفرائده)

[ص ٥] : ذكر أن (قُرَى) اسم لماءةٍ (كان عندها يوم من أيام العرب أي حروبهم) قال ذو الأصبع العدواني :

(كأنا يومَ قُرَى إنـــما نقتـل إيّانا)

يريد الشاعر أن المتقاتلين إخوة من دم واحد فقاتل أخيه كأنما يقتـل نفسه . وهذا المعنى من مستحسن معاني العرب الشعرية ومنه قول الحماسي :

(ونبكي حين نقتلهم علينا ونقتلهم كأنا لا نبـالي)

[ص ١٤] : (الأدوات المنزلية الخشبية) وتسمى صناعتها في عصرنا صناعة (الموبيليات) كما يسمى نجارها (نجار افرنجي) . وقد ذكر الدينوري في كتابه جملة أشجار يُتخذ من جذوعها وأخشابها أدوات وأواني على نمط اتخاذ ذلك في عصرنا الحاضر من حيث طريقة العمل والتحضير . والظاهر أن مزاولي هـذه الصناعة هم عرب الجزيرة أنفسهم الذين توجد تلك الأشجار في جزيرتهم . ولا سيما سلسلة جبالها المشهورة باسم (السَرَاة) يقول الأصمعي ان (الشِيزى) الذي تذكره العرب في أشعارها ومنه قول ابن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان (الى رُدُح من الشيزى مِلاءٍ) يفسرون الشِيزى بالخشب الصُلب الذي تتخذ منه الجفان أي القصاع الرُدُح ـ يقول الأصمعي ليس المراد بالشيزى خشب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشيزى نفسه وانما المراد خشب الجوز الذي تُنحت ألواحه وتُصقل وتُسوَّد بالدسم حتى يصبح محاكيًا خشب الشيزى ويسمونه باسمه ، ويريد الأصمعي بالدَّسَم نحو الزيت والشحم مما تعالج به أخشاب الكراسي والمقاعد والموائد لتلميعها وقد قام مقامها في زماننا هذا أدسام أخرى : الزيت المعدني ثم السبيرتو والكليكا .

قال الأصمعي وشجر الشيزى (ويقال له الشيز أيضاً) لا يغلظ حتى تُتخذ من أخشابه جفان وقصاع . قال المؤلف (الدينوري) والأمر كما وصف الأصمعي .

[ص ١٦] عاد الأصمعي الى الأشجار التي تُتخذ من أخشابها الصُلبة الجفان والموائد فذكر منها عدا الجوز (العُتمة) و (الفرفار) قال — واذا تقادمت (الفرفارة) اسود خشبها سواداً شديداً . ويكون قبل أصفر . والأقداح (جمع قَدَح بالتحريك) التي تتخذ منه رقاق خفاف طيبة الرائحة . ولشدة صلابته قال الشاعر (والبَلَط يَبْرِي حُبَر الفرفار) (البَلَط) حديدة الخرّاط و (الحُبَر) جمع حُبرة وهي العقد والعُجَر والسِلَع ويراد بها مكان الصلابة من جذع الشجرة فهي اذا خرطت ثم نحتت وصقلت وسُوِّدت بالدَّسَم خرجت آنيتها موشّاة أحسن وشي . قال وأخبرني بعض الأعراب أنهم ينحتون بالسَرَاة صحافاً من سِيقان الكرم (وهو شجر غير كرم العنب) ومن عُجَرٍ تظهر في تلك السيقان فتجيء خلنجاً موشاةً حساناً جياداً . وقوله فتجيء خلنجاً يريد بالخلنج (وهو اسم فارسي) شجر اشتهر أيضاً بصلابته وصلاحيته لاتخاذ الآنية منه ثم سموا كل شجر يشبهه خلنجاً . بدليل قوله (وأجناس الخلنج كثيرة وهذا — أي الكَرْم — أكرمها) ونريد اليوم بالخلنج في لهجتنا العامية الشيء الجديد الذي لم يُستعمل بعدُ . وكأن وجود صلاب الأشجار في (السَرَاة) جعله مركزاً لصناعة الخراطة وتصدير مصنوعاتها الى الخارج . قال : والكَرْمُ تغلظ ساقه عندهم غلظاً شديداً . وأخبرني بمثل ذلك رجل من أهل الشام لأن الكَرْم يعبُل (أي يضخم) بأرض بيت المقدس خاصة حتى يمكن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن يُخرط منه الأواني . أقول فشجر الكرم المذكور هو في غالب الظن نوع من شجر الزيتون البرّي وهو الذي اشتهر بيت المقدس بصناعة الأواني المختلفة منه فتكون بعد صقلها ومعالجتها بالدَسَم صفراء اللون موشّاة بالسواد فيها تعريق وتوليع وتخطيط . وما زالت هذه الصناعة الجميلة في بيت المقدس الى اليوم . وما قلناه في شجر الكرم هذا يدل عليه قوله : وأخبرني رجل من اهل المعرفة أن الكرم الذي ينسب الناس اليه الصِحاف هو شجر ليس بالباميق (؟) ولكنه غليظ وله ورق مثل ورق الإِجّاص وخشبه موشّى بسواد وصفرة وربما كان بحمرة ينبت في جبال الدُروب وربما عملت منه السروج اه . قوله (جبال الدروب) يعني بها الجبال الفاصلة بين آسيا الصغرى وسورية وهي المداخل الى بلاد الروم .

هذا ملخص صفحات ملأها الدينوري بوصف صِلاب الأشجار التي تُصنع منها الأدوات الخشبية المنزلية . وهذا النوع من الأشجار يسمى (النُضَار) بضم النون ، ومنه الأثل والفرفار والكرْم والخلنج والمَيْس والساج . وفي جذوعها عقَد وعُجَر وسِلَع وحُبَر يعمدون الى هذه العُقد فيخرطون منها الأدوات حتى الموائد والزوارق ويصقلونها ويعالجونها بالدَسَم فتظهر موشاةً بتواليع وأساريع وتعاريق سود أو حمر برّاقة وتكون (أرضية) الخشب صفراء . كل ذلك يدل على أن صناعة الخراطة في جزيرة العرب كانت ناهضة لدى أهلها . ولا سيما جبل (السَرَاة) حيث تنبت تلك الأشجار . وتشبه هذه الصناعة في زمنهم حسبما وصف المؤلف صناعة الأواني والأدوات في بيت المقدس . ولم نتحقق ما اذا كانت صناعته فيه من خشب الزيتون المعروف أو خشب شجر آخر سمي بالزيتون تسامحاً كما قال الأصمعي في الشيزي وقد نقلنا قوله آنفاً .

وفي [ص ٢١] : وصف شجراً وسماه (الأشكل) وقال هو كالعُنّاب في في شوكه وعقف أغصانه . وله (نُبَيْقَة) حامضة شديدة الحموضة . ونُبيقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تصغير نَبِقَة واحدة النَبِق • وهو ثمر شجر السِدر والأشكل من فصيلة السدر • ووصفُ ثمرته بشدة الحموضة يذكرنا بثمر على شكل ثمر العُناب في حجمه واستطالته لكن حمرته قانئة مُشرقة لا قاتمة كحمرة العُنّاب ، كنا نراه يُباع في أسواق دمشق ذقناه ولا نكاد نسيغه لشدة حموضته • ويسمونه (أجلجق) وقيل لنا ان اسمه هذا محرف من (قِزلجق) وتفسيره بالتركية (أُحيمر) تصغير أحمر • ولا جرم فان الثمر المذكور حُبيبات حُمر صغيرة • فهل يكون ثمر الأشكل الذي وصفه الدينوري هو الأجلجق أو القزلجق يا ترى ؟ ولا يعزب عن بال القارئ أن الشُكلة في اللغة بياض يضرب الى الحمرة • ومنه شُكلة العين الحمرة تكون في بياضها •

وفي [ص ٣٢] : يذكر نباتين : الأجرد والقصيص وقال إنه لم يعلم من نعتهما أكثر من أنهما ينبتان بين ظهراني الكمأة فيستدل بهما على مواضعها من بطن الأرض • وهذا ما عناه الراجز (مهاجر النهشلي) يصف كمأةً اجتناها :

(جنيتها من مُجتنىً عويصٍ من منبت الأجرد والقصيص)

و (العويص) التربة الصُلبة والمكان الغليظ •

وفي [ص ١٠٤] وصف شجر الحَرْمل وروى عن بعض أعراب (السَراة) قوله : والحَرْمَلَة شجرة لها لبن كثير ثم حكى عن ذلك الأعرابي ما نصه : (ويؤخذ لبنها في صوف أو قطن ما حَمَل (أي بقدر ما تستطيع أن تتشرّبه الصوفة أو القطنة) ثم يُسقبل بالزُبد حتى يُروى منه (ومعنى يسقبل يغمس بالدسم فيمتصه الى آخر حد) ثم يغمل عشرة أيام حتى ينتن (ومعنى يُغمل يُغمّ ويغطى) ثم يحك بالصوفة أو القطنة جرب الإنسان الأجرب حكاً شديداً ويقام في الشمس فيُدلك جربه بتلك الصوفة فيجد مضيضاً (أي ألماً) شديداً ويبرأ • انتهى قول الأعرابي ومنه يفهم أن عرب البادية هُدوا الى المعالجة بالعفونة والنتانة قبل أن يهدى اليها مخترعو البنيسلين بأكثر من الف سنة •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[ص ١٧٤] : وصف (دم الغزال) بأنه نبات يشبه الطرخون . وقال ان له عِرقاً أحمر تخطط الجواري بمائه مَسَكاً في أيديهن حُمْراً . فقوله بمائه أي بعصارته التي تسيل من عروقه بعد دقها أو شدخها . والمَسَك بالتحريك الأسورة والدمالج تتخذ من الدَبْل أي عظام السلاحف . فنساء الأعراب يعمدن الى تلك العصارة الحمراء فيجعلن منها حول معاصمهن دوائر على شكل السوار يتحلين بها كما يفعل أعرابيات اليوم بزينة الوشم في معاصمهن وعلى وجوههن .

[ص ٢٠٣] : قال الأصمعي : حدثني عبد الملك بن صالح بن علي (من أمراء بني العباس وكأنه كان والياً على الشام) قال : تبقى شجرة الزيتون ٣٠٠٠ سنة وكل زيتونة بفلسطين من غرس اليونانيين قبل الروم (يريد كتاب العرب من الروم ملوك القسطنطينية المشهورين باسم البيزانطيين) وذلك البناء العجيب بناؤهم (يريد بذلك البناء بعلبك وأمثالها) قال ورأيت الزيتون يعاوم (أي عاماً يحمل وعاماً لا يحمل) ورأيت كنيسةً بالشام عتيقة ليس فيها صليب فسألت عجوزاً فقالت : كانت هذه الكنيسة قبل أن تكون النصرانية كأنها من بناء اليونانيين اهـ . وإذا قال كتاب العرب الشام أرادوا بها سورية الطبيعية الممتدة على ساحل البحر المتوسط بين طورس والعريش .

[ص ٦٩] : (التين الجلداسي) ووصف الدينوري ثمر (التين) وعدد أجناسه وقال هو كثير في أرض العرب . قال : وأخبرني رجل من أعراب (السَرَاة) وهم أهل تين ، قال التين عندنا كثير جداً . وهو مباح ونأكله رطباً ونزبّبه فندّخره (في لهجتنا اليوم استعمال التزبيب للعنب خاصة أما التين اذا جفف فهو تين يابس ولا نقول تين زبيب أما في اللغة فالتزبيب لهما معاً كما سمعت) قال ومن أجناس التين عندنا (الجلداسي) وهو أجوده ولونه أسود ليس بالحالك (أي ليس بالشديد السواد وكأنه يضرب الى حمرة أو بياض) فيه طول واذا بلغ انقطع بأذنابه (أي أنه اذا انتهى نضجه لم يعد يحمله ذنبه أي عودته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو نياطه الذي يعلق به في أصل الغصن فيتساقط) قال : وبطونه بيض (يريد ببطونه لبه الباطن الذي يؤكل) قال : وهو أحلى تين في الدنيا . واذا تملأ منه الآكل (أي اكتظ) أسكره . وما أقل من يقدم على أكله على الريق لشدة حلاوته اهـ ، والجمال في قول هذا الأعرابي جدة تعبيره في وصفه للتين واختيار الفاظ فصيحة نحن في حاجة إلى احيائها . ونعيد لفت النظر الى جبال (السَراة) وانها مصدر زراعي وصناعي في جزيرة العرب ولا نعرف شيئاً من أخبار السراة اليوم وحبذا لو عرّفنا من يعرف .

[ص ١٤٤] : (صنع الحِبال) قال الأصمعي (في المدينة المنوّرة سوق تسمى سوق الخزّامين) وهي بمنزلة سوق الحبالين التي تباع فيها الحبال بدمشق . وحبال الشام تتخذ من نبات القِنّب أما الخزامون في بلاد العرب فحبالهم من نبات الخَزَم وهو شجر قريب الشبه من شجر الدَوم وفي سلسلة جبال (السَرَاة) جبلان يسميان (قَمْلَى [1] ونُقَمّيل) لا ينبتان شيئاً الا شجر الخَزَم التي تتخذ منه الحبال . والغربان حريصةٌ على أكل بُسرة المر الفعص . فهي تنتابه أسراباً أسراباً . فاذا رآها الناس صاحوا (تريد قَمْلَى ونُقَمّيل) أي إنها تقصد ذينك الجبلين لترعى الخَزَم فيها . والحبال تتخذ من خوص الخَزَم كما تتخذ منها الخُطُم أيضاً جمع خطام وهو زمام البعير . فترى الخزامين يجلبون ذلك الخوص من منابته وينقعونه في الماء . فاذا صلح ولان دقّوه بالمياجين على الفرازيم (والمياجين جمع ميجنة وهي المدقة والفرازيم جمع فرزوم الخشبة التي يقطع عليها الحذّاء جلود أحذيته ويسميها أهل المدينة الجبأة) واذا دقوا الخوص على هذه الصورة تساقط ما في خلال خيوطه من السداد وتخلص الخيوط من تلك

(١) كذا ضبطا في كتاب (النبات) ولم نظفر باسم (نُقمّل) أما (قَمْلَى) فقد ذكره صاحب معجم البلدان واللسان وقالا انه اسم موضع وضبطاه بفتح الميم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السداد أي المواد النباتية التي تسد الفروج بين الخيوط وتشبّك بينها . فتبقى الخيوط قائمة سالمة فتعمل حبالاً على كل نحو . وتُفتل دقاقاً وغلاظاً .

[ص ٢١] : وذكر الدينوري الأرز فقال واحدته أرزة وليس هو من نبات أرض العرب . وقد جرى في كلامهم وأشعارهم قال (ﷺ) : مثل الكافر مثل الأَرْزة (الجذِية) (أقول معنى الجذية الثابتة في مكانها . ومعنى الحديث أن الكافر قد يثبت على الضلالة فلا يهتدي الى الإيمان) ووصف الشاعر قوائم ناقته فشبهها بدعائم الأرز فقال : « دعائم أرز بينهن فُروج » . والأرز مما يطول طولاً شديداً ويغلظ . وأخبرني الخبير أن الأرز ذكر الصنوبر وانه لا يحمل شيئاً ولكن يُستخرج من أعجازه وعروقه الزفت . ويُستصبح بخشبه كما يُستصبح بالشمع ويقال لخشبه الذي يستصبح به « الداذين » وهو كلام رومي اه . أقول : والعرب من أهل (السَرَاة) يسمون الخشب الذي يستصبح به مناور . ويسميه الأتراك چراغ وهي التي يستعملها العرب المعاصرون .

وذكر الآس فقال : الواحدة آسة وهو بأرض العرب كثير ينبت في السهل والجبل . وخضرته دائمة أبداً . يَسْمو حتى يكون شجراً عظاماً . وللآس بَرَمَة بيضاء طيبة الريح وثمرة تسود اذا أينعت وتحلو وفيها مع ذلك عليقمة « أي مرارة قليله » وتسمى ثمرته أيضاً « الغَطْس » أقول : ومراده ببَرَمَة الآس ثمرته أول ما تبدو وهي بعدُ في زهرتها ثم قال وزعم قوم أن الآس يسمى الرَنَد . وأنكره العلماء وزعموا أن الرند شجر طيب الريح وليس بالآس .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net